اجتهادات
قوةُ الروح

قليلُ من البشر فى أنحاء العالم اليوم هم من يُدركون مدى قوة روح الإنسان حين يمتلكُ شجاعة الاستغناء، والقدرة على التخلى عما يتسابقُ الآخرون من أجله. وما أقواها هذه الروحُ حين يقدرُ الإنسانُ على الاستغناء عن حياةٍ مُريحةٍ نشأ فيها، ويختارُ حياةً شاقةً إرضاءً لضمير يؤرقُه، أو إيمانًا بأفكارٍ أو قيمٍ عليا يتقزمُ بجوارِها متاعُ الدنيا كله.

وهذا ما فعلته المفكرةُ الفرنسيةُ سيمون فايل، التى عدتُ مرةً ثانيةً إلى سيرتها عقب انتهاء النقاش الذى أشرتُ إليه فى اجتهاد الأمس، لم تأخذ فايل، التى عاشت فى النصف الأول من القرن الماضى وماتت صغيرةً عام 1943، حقها فى الاهتمام سواء بأعمالها الفكرية، برغم أن ألبير كامو الأكثر شهرةً منها اعتبرها أكبر عقلٍ فى عصرها، أو بنمط حياتها الذى يُمثَّل نموذجاً لقوة الروح. اختارت أن تعيشَ فى أفكارها وقيمها وفلسفتها، فصارت نموذجًا للإنسان الذى يحيا من أجل ما يؤمنُ به.

فقد تركت حياةً مُريحةً وُلدت فيها، وانخرطت فى وقتٍ مبكرٍ من حياتها فى نضال العمال والفقراء والمظلومين فى باريس. تركت تدريس الفلسفة فى مدرسةٍ ثانوية، وعملت فى مصانع لتعيش حياةً تُعبرُ عما آمنت به فى مرحلتها الماركسية، وعلمت مئات العمال وصيادى السمك، واقتسمت أجرها البسيط مع محتاجين، واكتفت بما يُقيم أودها، فضعفت صحتُها، بينما ازدادت روحُها القويةُ قوةً، فتسامت إلى أن وجدت الله فى كل خيرٍ وجمالٍ حولها.

وفى طريقِها هذه إلى الإيمان، راجعت أفكارها الماركسية التقليدية، عندما أدركت أهمية المحافظة على الجذور. وحين أخذ جسدُها يزدادُ وهنًا، بلغت قوةُ روحِها الذروة، فصارت أكثر رهافة، وتنامت طاقةُ حب المظلومين والمضطهدين الموجودة فى داخلها منذ صغرها، إلى أن بلغت حبَ الله.

وتقرأُ لنا سيمون بيترمانت، كاتبةُ سيرتها التى تُعدُ إحدى أكثر السير إبداعًا، من بعض إسهاماتها الفكرية ما يُفيدُ أن فى إيمانها ذاك سماتٍ صوفيةً، وهى التى لم يُعرف عنها التزامُ بدينٍ معين، بل سموُ روحيٍ قام على علاقةٍ مع الخالق العظيم. وليس غريبًا، والحالُ هكذا، أن يتأثرَ بها مفكرون ماركسيون ووجوديون وتفكيكيون, ورجالُ دينٍ كبارٍ أيضًا.